شعيب العرجوني

من أنا لأهزم الموت ؟

شعر

شعيب العرجوني

من أنا لأهزم الموت ؟

شعر

إهداء

إلى الذين لا زال يطربهم الشعر في زمن النثر الرديء

إلى الذين ما زالوا يتذوقون الجمال في زمن البشاعة.

مقدمة

تنطوي فكرة فصل جوهر الشعر عن الشكل الشعري على فائدة كبيرة تفتح المجال واسعا أمام تعدد الأشكال الشعرية باعتبارها مقترحات لاحتواء الجوهر، فإذا ما آمنا أن للشعر جوهر واحد فسيكون لزاما علينا الإيمان بأن أشكال ظهور هذا الجوهر متعددة، أو بلغة الفلسفة، أن أعراضه متعددة. و يجعلنا هذا التصور قادرين على تبني الأشكال المتعددة للشعر المشروطة بجوهره، و بمعنى آخر، سيكون الجوهر فاصلا في معرفة شعرية أو لاشعرية أي نص كيفما كان شكله الشعري.

- من كتاب العقل الشعري، للدكتور خزعل الماجدي.

حبيبة شاعر

قالت : جميلٌ أن يحبّكْ شاعرٌ
فحينها منك الخير يقتربْ

و حينها تحلقين في السماءْ
مع الطيورِ و النّجومْ .. فوق السّحبْ

يصير جسمك الطريْ .. كنيسةً
ملاطها المسك .. و جدرانها الذهبْ

يقرأ عنك النّاس بعد ألف عامْ
مثل أميرةٍ عريقةِ النسبْ

مثل حضارةٍ عظيمهْ .. لا تموتْ
رغم تعاقبِ الفصولِ و الْحِقبْ

من الجميلِ أن تكوني مُلهِمهْ
أن تصبحي جبريل وحيٍ وكتبْ

أن تغدي سدرة منتهى العشقْ
إليك يعرج أنبياءٌ و شهبْ

من الجميل أن تكوني ملهمهْ
فحينها منك الخير يقتربْ

قد تتحوّلينَ حينها .. إلى ..
نجمٍ .. إلى بستانِ توتٍ و عنبْ

قد تجلسين حينها في بيتكْ
و جسمك طاف كل داراتِ العربْ

قيثارة أورفيوس

.. و التفت القلب إلى الوراءْ
و دمّرت الآلهة أحلاميَ الخضراءْ
لم يبق لي إلا الحزنْ .. و الضجرُ
حطّم قيثارتك .. يا أورفيوس .. على جماجم الموتى
قطّع أوتارها الخائفهْ ..
فما عادت تملك شعوراً أو صوتا
لا طيرٌ يتبعك اليوم .. و لا حجرُ
خذ حمائمك .. يا أوتونابشتم ..
خذ غربانك السوداء
قد دمّر الطوفان حدائقي الغنّاء
لا وردٌ لديْ .. و لا شجرُ
لا سطرٌ في النثرِ .. يشفيني
لا شطرٌ في الشعرِ .. يأويني
في قلبي حزنٌ .. وفي عيني
كبحرٍ .. أدمعي تنفجرُ

قرّبا كأس الخمر منـي

قرّبا كأس الخمر مني قليلاَ
في فؤادي حزن بحجم الجبالِ

لست أملك صاحبا أو خليلاَ
عن يميني الفراغ و عن شمالي

صار جسمي عودا و نايا نحيلاَ
من يراني .. لا ريب .. يرثي لحالي

قَرّبا كأس الخمر مني قليلاَ
ربما السكر منقذي من ضلالي

ففؤادي قاسى عذابا طويلاَ
ويكأنه لا يشفق الله لحالي

قربا كأس الخمر مني قليلا
لا تعظني عن حرام أو حلالِ

ما وجدتُ إلى الصحو سبيلا
إن الحزن يمزق أوصالي

قربا كأس الخمر مني قليلا
ربما السكر منقذي من ضلالي

رسالة كافكا الأخيرة إلى ميلينا

استحالتْ دمعاً جميع الأغاني
وازدادت طولا و عرضا قامة أحزاني
ميلينا .. ألا رسالة تجيء منك تحيي القلبا
ميلينا .. جسمي مدينة أحالتها خراباً الحربُ
فطيّري الحمام في أجوائها ..
أنهي هذي الحربا
وارفعي رايات الفرح فوق سطوح المباني
وانثري ورداً فوقها أو نشيدا
واسكبي ماءً تحتها أو نبيذا
أشعلي ناراً فيّ .. في وجداني
لا شعرٌ يوحى بلا نيرانِ
فالشعر ابن عمّ الألمْ
الشعر .. يا ميلينا .. امتزاجُ الأحزانِ بالأحزانِ

فكيف .. كيف أكتبكْ شعراً ..
بعدما ماتت قوافيّ ... و ماتت ألحاني ؟
كيف أرسمك .. يا ميلينا ..
زهراً .. أو نهراً ..
بعدما تكسّرت فرشاتي .. واسودت ألواني ؟
واستحالت دمعاً جميع الأغاني
بعدما صرتُ مسخاً .. يرفضني البعيد و الداني
وازدادت طولا و عرضا قامة أحزاني

قطة شرودينغر

مِنْ يَوْمِ غادَرْتِ حياتي ..
ثُمَّ أَغْلَقْتِ خَلْفَكْ بابَ الأَمَلْ
لا أَعْرِفُ إلى الْخَلاصِ سَبيلا
لا أَلْتقي اِمرأةً ترتقي أن تكونَ عنكِ بديلا
بعد وجهكْ .. لمْ أقابلْ أبداً وجهاً جميلا
لمْ أقابلْ أبداً روحاً نبيلهْ
أنا هنا .. وحدي أقاوم أحزاني الثقيلهْ
افتحي الباب وادخلي ..
اجلسي قربي قليلا
تحدّثي إليْ طويلاً .. طويلا
افتحي الباب .. وادخلي ..
افتحي لأعرف .. إن كنتُ حيّا
أو كنت قتيلا

لينور

لينور .. هل عدتِ ؟
هل فتحتِ نوافذ روحي ..
ليدخل الهواء النقي .. كَنَفَس فمِكْ ؟
لينور .. هل عدتِ ؟
لتصبغي جدران حياتي بالأبيض و الوردي ..
كلون دمِكْ ؟
لينور .. هل عدتِ ؟
هل تعبق بغرفتي الآن .. روائح جسمِكْ ؟
هل تنشد ملائكة السماء حروف اسمِكْ ؟

لينور .. يا من تسمّيها الملائكة لينور ..
مزّقي جسد الكتب القديمة ..
لأقطف لك ألف قصيدة ..
من حدائق ظنوني
لينور .. يا من تسمّيها الملائكة لينور ..
أُطردي الغراب من فوق التمثال
أزيحي الغمام عن نهديك ..
ليغسل ضوؤهما سماء قلبي .. و عيوني
ابتسمي يا لينور .. ابتسمي الآن
ليجف الماء في بئر جفوني
و يسقط الموت ميتا على قدمِكْ

من أنا لأهزم الموت ؟

كم الأرض بعيدة عني ..
كم الأرض بعيدهْ
فلا جاذبيتها تسحب المسامير من لحمي ..
أو تبلع خشب الصليبِ .. و حديدَهْ
أقول في نفسي :
- هل جاءت الطير لتأكل من رأسي
أم لتؤنس روحي الوحيدهْ ؟
****

كم الأرض بعيدة عني ..
كم الأرض بعيدهْ
و أنا أفتح ذراعيّ .. كأني ظل الصليب
أو كأنّ الصليب ظلي
و أعانق أحزانا جديدهْ
كم هي عديدة أحزاني ..
كم هي عديدهْ
و في قلبي كلامٌ كثيرٌ ..
لا أستطيع ترديدهْ
إنجيل محوته بيدي ..
فكل صحائفه بيضاءُ
خذه .. يا يوحنّا .. و املأه بما تشاءُ
و انشره كتاباً .. أو جريدهْ
***

لا قيامة بعد اليوم
نثرت الريح رماد العنقاء في الهواء ..
واسعة هي السماء
فانطلقي أيتها الروح الشريدهْ
من أنا لأهزم الموت ؟
و أنا لم أكن نقشا على حجرٍ
و لم أكن ملحمة قديمة .. أو قصيدهْ
كم الأرض بعيدة عني ..
كم الأرض بعيدهْ

حاضرة المحيط

(إلى مدينة آسفي)

هل تذكر سعيدة ملامحي ؟
أم نسيت شكلي و روائحي ؟

تمر ذكراها بقلبي دوماً
كطير نورس ببحر سابحِ

عيونها زمرد .. و وجهها ..
عصفور يدغدغ جوانحي

عدت إليك بعد فرقة زمنْ
يا آسفي .. أهذي بحبي الجامحِ

حاضرة المحيط أيا آسفي
لقد هجرتك دهرا فسامحي

هل لي إليك توبة ؟ .. ففراقك
يوجعني كظفر طير جارحِ

بعدك .. يا آسفي .. يبكيني
يؤذي عيني مثل بحر مالحِ

هنا جذوري و هنا أجدادي
كيف أزورك مثل أي سائحِ ؟

ألم تحزن أنت ؟

بعد الفراق جاءت إلي ..
و قد حفر الدمع أجفانها
و ما عادت بأحداقها أحداقُ
قالت : ألم تحزن أنت ؟
ألم يبكيك الفراقُ ؟
ألم يذبح قلبك الاشتياقُ ؟
هل وعد الشعراء زيف ..
و حبهم نفاقُ ؟
هل كنت تتسلى بي ؟
بقلبي ؟ بنهدي ؟ بشعري ؟ بعناقي ؟
أحقا كان كاذبا ذاك العناقُ ؟

هل أحببتني .. أم تسليت بي ؟
ثم رميتني كما ترمى بقايا السجائر ..
كما ترمى بقايا السلع ..
حين تتفرق الأسواقُ !
هل أحببتني ..
أم قصتنا كانت إلهاما جديدا ..
و دمعي الحبر .. و الأوراقُ ؟

قلت لها باسما ..
و بصدري ألم لا يطاقُ
قلت : أستغفر عينيك .. ما هجرتهما بغضا ..
و إنما .. فررت منهما ..
كما تفر حشرة يطاردها لقلاقُ
إن عينيك مرآة تاريخي ..
فيهما أرى كراريسي و مدرستي الثانوية ..
أرى فيهما مدرجات الكلية
و رفاقي القدامى ..
فكيف يمكنني البقاء معك ..
و قد رحل الرفاقُ ؟
رحل الرفاقُ !

وحيدا كالقمر

أجلس وحيدا كالقمر ..
تمر علي الذكريات كأنها سحابُ
قلبي .. كبيت مهجور ..
نبت في زواياه الفطر و الأعشابُ
اتخذت العناكب فيه بيوتا ..
خرت الأسقف و الأبوابُ
تكالبت عليه المآسي ..
لم تدخله امرأة منذ العصر الجوراسي ..
غادره الحب و الأحبابُ
****

أسير وحيدا .. مثل وشق في صحراء ناميبيا
وجهي قد طمس ملامحه التراب ُ
و أرض الحب صحراء عدائية
فعناكب و عقارب و أفاعي لها أنياب ُ
كل طرقها متاهات
كل مائها سراب ُ

كيف أحبك ؟

قلبي صدفة قانطة من رحمة الماء .. يائسهْ
أضلعي متحجّرةٌ .. متكلّسهْ
و جسدي جذعُ نخلةٍ يابسهْ
كيف أحبك ؟ كيف ؟
و لست سوى حجرٍ ..
مشاعره جثثٌ مكدّسهْ
فلتغفري إن أرجعت ..
بيارق كبريائك منكّسهْ
إن الحبّ .. في تصوّري ..
صلاةٌ لآلهةٍ مقدّسهْ
إن لم تحضرها روحا و جسداً
كانت باطلةً .. مدنّسهْ

وداعا للشّعر .. وداعا للحبّ ..

كيف أكتب لك يا أغلى الأحباب ؟
كيف أجمع عناصر القصيدة ؟
من أين أدخل إلى مختبر الشعر ..
و قد خرّ سقفه .. و انهارت الأبواب
و الشعر .. كجلجامش ..
قد تسلّط عليه النوم مثل الضباب
تسلّط عليه الموت مثل الضباب
تراكم على روحه التراب
فارقه أنكيدو من زمنٍ
خذله أوتونابشتم البعيد ..
تفرّق عنه الأصحاب
أكلت الأفعى زهرة خلوده .. فشاخ ..
كما تشيخ شجرة أو عنكبوت ..
كما يشيخ سنجاب
****

وداعاً للشّعر .. وداعا للحبّ ..

وداعا لجميع الآلهة .. و الأنبياء

وداعا لليالي البيضاء .. للطيور الخضراء

وداعا للوجوه الحسناء ..

للنهود المرتفعة كالقباب

مرحبا بالبشاعة و الفظاعة ..

مرحبا بالخراب

قلبي كنيسة مهجورة

قلبي كما الكنيسة المهجورة
ليس فيها قسٌّ .. ولا رهبانُ
لا تراتيلُ .. أو نواقيسُ .. و لا صلبانُ
لا صلواتُ للمسيحِ .. لا صكوكُ .. لا .. ولا غفرانُ
قلبي كما الكنيسةَ المهجورةُ
ليس يزورها نبيٌّ .. لا .. ولا شيطانُ
حزينة الأسقف فيها .. و المقاعد .. حزينةٌ بها الجدرانُ
لا أناجيلٌ تتلى فيها .. لا
ولا أناشيدٌ و لا ألحانُ

قلبي كما الكنيسة المهجورة
تموت فيها الأزهارُ .. تموتُ الألوانُ
أمّا العذراءُ فقد هجرتها من زمنٍ
فليرحم ذكراها الرحمانُ
حتى المسيحُ الذي كان إلها
منه ترجى رحماتٌ .. و جنانُ
قد قضى فيها مصلوبا حزينا
يشيب من منظره الولدانُ
قلبي كما الكنيسة المهجورة
لهدمها .. ربّما .. آن الأوانُ

اللوح الثالث عشر من ملحمة جلجامش

ضائعاً في بحرٍ لا ضفاف له ..
أجدّفُ وحيداً ..
لا تدعمني أشرعةٌ .. و لا قلوعْ
جائعاً للخلود .. أمضي ..
لا ألتفت للوراءِ ..
لا أفكّر بالرجوعْ
ليس في الوراءِ غير الفناءِ ..
غير الرّيحِ .. و طوفانِ الدموعْ
مات أنكيدو ...و مات الرجاءُ
سقطت أسوار أوروك على رأسي ..
سقطت عليّ السماءُ
قُطع ساعدي .. و تكسّرت الضلوعْ
هذا البحر لا ضفاف له .. فأينَ المستقرُّ ؟
هذا الحزن لا ضفاف له .. فأين المفرُّ ؟
لا إله في سومَر ..
يُنبتُ ثانيةً ساعدي المقطوعْ

العود الأبدي

عُد بي .. يا أور-شنابي
عُد بي .. أيّها الملّاحُ
عد بي .. إلى أوروك ذات الأسوار
عد بي .. إلى أحضان عشتار
عد بي إلى الوطن الأول ..
إلى البيت الأول ..
إلى الحب الأول ..
حيث تداوى الأحزانُ .. و الجراحُ
عد بي .. إلى معابدي القديمة .. إلى آلهتي
حيث الروح ترتاحُ
عُد بي .. يا أور-شنابي
عُد بي .. أيّها الملّاحُ
****

ما عدتُ أرغب في الخلودِ
أو في الوجودِ
و لا أن تصارعني أسود .. و عقاربُ
أو تطاردني أشباحُ
آمنتُ أن الخلودَ :
هو أن نموت في أحضان من نحبّ
و يده تداعب روحنا ..
و عيونه تحرس جسمنا ..
كأنها شمسٌ .. أو مصباحُ
عُد بي .. يا أور-شنابي
عُد بي .. أيّها الملّاحُ

قصائد المجموعة

1- حبيبة شاعر
2- قيثارة أورفيوس
3- قرّبا كأس الخمر مني
4- رسالة كافكا الأخيرة إلى ميلينا
5- قطة شرودينغر
6- لينور
7- من أنا لأهزم الموت ؟
8- حاضرة المحيط
9- ألم تحزن أنت ؟
10- وحيداً كالقمر
11- كيف أحبك ؟
12- وداعا للشعر .. وداعا للحب
13- قلبي كنيسة مهجورة
14- اللوح الثالث عشر من ملحمة جلجامش
15- العود الأبدي